يحتوي هذا الكتاب على المحاضرات التالية:

- ظاهرة التفوق المطلق في الإمام علي عليه السلام
- الإمام علي عليه السلام مجمع أبعاد الشخصية الإنسانية
- جوانب من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من الطبائع الإنسانية السليمة أنها خلّدت شخصياتها المتميزة التي أسهمت بصورة أو أخرى في تذليل مصاعب الحياة، وتركت بصماتها العلمية والعملية بين يدي الإنسان، لكي يوظفها لصالحه في تحقيق النجاح في الميادين كافة، وعندما نقلب صفحات التأريخ الإنساني بتروٍ وتقصٍّ منصف، فإننا سنجد بين طياته شخصيات عظيمة قدمت للبشرية عصارة أفكارها المدعومة بأعمالها، فنقلتها من سباتها وسكونها إلى منطقة الحراك والعمل الإنتاجي المبدع في شتى مجالات الحياة، وبذلك أصبحت أمماً لها حظوتها القوية في الوجود والتطور المتصاعد، ونقشت اسمها وأعمالها الكبيرة في سجل الإنسانية الخالد، من خلال الإسهامات الفكرية والعملية لشخصياتها العظيمة، ولكننا قد لا نجد شخصية فذة فريدة تميزت بالتفوق المطلق وجمعت كل الخصائل الإنسانية الرفيعة والسامية.

في هذا الكتاب القيم يقدم لنا الفقيه آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (أعلى الله درجاته) عبر محاضراته وبحوثه القيمة نبذة فكرية مركزة عن أعظم وأروع وأهم شخصية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألا وهي شخصية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) المتفردة في صفاتها والمتميزة في سماتها، والتي جعلت من الإمام الشخصية الخالدة التي جاد بها التأريخ على المسلمين وعلى الإنسانية، فتألقت متفردة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سماء البشرية صانعة مُثلاً أعلى ونموذجاً فريداً وشمساً زاهرة بالقيم والفضائل التي تمد العالم دائماً وأبداً بالخير والسعادة.

إن الفقيه الشيرازي (رحمه الله) يسلط في مؤلَّفه هذا الضوء على الخصال والسمات الجامعة في شخصية الإمام علي (عليه السلام) ويؤكد على أن الشخصيات النابغة في التأريخ كانت تبرع في جانب علمي أو عملي محدد وواضح، فالعالم الفلاني يكون بارعاً ونابغاً في علم محدد ولا يبرع أو ينبغ في علم غيره، وهناك أمثلة معروفة في التأريخ يشير إليها الفقيه الشيرازي في كتابه هذا، بيد أن الأمر يختلف تماماً مع شخصية أمير المؤمنين عليه السلام الجامعة التي تميزت ونبغت بكل الصفات المثلى في كل المجالات.

إن هذا الكتاب القيّم يضع الكثير من الحقائق التأريخية في

موقعها الصحيح وينبّه من يرغب بذلك على ما قدمه الإمام عليه السلام من خدمات علمية خالدة للبشرية في مجالات العقيدة والاقتصاد والسياسة والمجتمع والبلاغة والعلوم وغيرها.

ومن المعروف أن الشخصيات الناجحة غالباً ما تثير حفيظة الآخرين، لاسيما الجهلاء الذين لا يتمتعون بسمات ومواهب إنسانية فيعمدون إلى التشهير والتسويف ومحاولات النيل من العباقرة في محاولة لسد النقص الذي تعانيه شخصياتهم، وبدلاً من مساندة الشخصيات التي تنبغ في هذا العلم أو ذاك والاستفادة من خدماتها العلمية الجليلة، تجدهم يبذلون محاولات يائسة ومستميتة للنيل من العباقرة ودورهم في بناء الحضارة البشرية الراكزة.

لقد بين الفقيه الشيرازي في هذا الكتاب شيئاً من جوهر الشخصية الخالدة لأمير المؤمنين عليه السلام ومرتكزاتها العلمية والعملية وسمات العبقرية التي تتميز بها، ويشكل هذا الكتاب بمحتواه دعوة للمسلمين وللناس أجمع إلى معرفة شخصية الإمام عليه السلام عن قرب، والاطلاع التام على هذا النموذج الإسلامي الثر الذي قدم للعالم غضارة فكره الرباني والإنساني لكي يصب في مصلحة الإنسان بغض النظر عن طبيعة انتمائه

العرقي أو القومي أو الديني أو الجغرافي.

ولعل هذه الرؤية الإنسانية بحد ذاتها توضح للجميع طبيعة الشخصية الإنسانية العظيمة للإمام علي عليه السلام وتنبؤ عن المبررات العلمية والواقعية التي تكمن وراء خلود أمير المؤمنين عليه السلام في عقول الناس وقلوبهم وضمائرهم إلى الأبد.

والله تعالى ولي التوفيق.

مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية

كربلاء المقدسة

١

ظاهرة التفوق المطلق في الإمام علي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[1] صدق الله العلي العظيم.

إن ظاهرة التفوّق هي إحدى الظواهر العامة التي نجدها في الكون، وتعني تفوّق بعض الموجودات على البعض الآخر، وينقسم التفوّق إلى نوعين:

النوع الأول: التفوق الجبري

الجبر يعني أنه ليس هنالك إرادة للشيء وليس هنالك اختيار، فلا الوجود المتفوق كان متفوقاً باختياره، ولا الوجود غير المتفوق كان تخلفه باختياره أيضاً، بل هو مجبر على ذلك، أي قُهِرَ على ذلك، وجُبِرَ إجباراً.

---

(١) سورة الإسراء: ٢١.

إن هذه الأحجار التي ترونها، منها حجر متفوق، وهناك حجر غير متفوق، فهذه الأحجار المرمية على شاطئ البحر، لعل آلافاً منها لا يُقيّم بدينار واحد، لكن تجدون أحجاراً الواحد منها يُقيّم بآلاف الدنانير، فهل كان تفوق هذا الحجر باختياره؟

وهل كان اللؤلؤ متفوقا باختياره؟

بمعنى هل هو اختار أن يكون متفوقاً، كلا، إنما الله تعالى كوّنه وأوجده على هذا النحو، وذلك الحجر غير المتفوّق لم يكن أيضاً باختياره.

إن الله تعالى يُشير إلى التفوق غير الاختياري في بعض الموجودات بقوله تعالى: ﴿**وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[1]، فهذه الثمرات التي نراها تختلف بعضها عن الأخرى، فبعضها حلوة المذاق، وبعضها ليست كذلك، وبعضها شديدة الحلاوة، فهذا تفضيل من الله سبحانه وتعالى، فاللوز المُر واللوز العادي من ناحية المظهر لا فرق بينهما، ولكن هذا له طعم وذلك له طعم آخر.

---

(١) سورة الرعد: ٤.

النوع الثاني: التفوق الاختياري

والتفوق الاختياري يعني أن هنالك درجات في الوجود ولكن بالاختيار، أي بالإرادة والعمل، طبعاً كل الأشياء تنتهي إلى الله عزوجل فهو مسبب الأسباب، فحتى الإنسان الذي يريد التفوق ويكون متفوّقا باختياره، فهو يتفوق بإرادته، ولكن الله سبحانه هو الذي أعطاه هذه الإرادة، وأعطاه هذه القوة، وأعطاه العضلات وأعطاه الطاقة، وأرشده إلى الخير، فكل شيء يرجع إليه سبحانه وتعالى، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن.

إن الله تعالى يشير إلى هذا النوع من التفوق، فيقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾[1]، فحتى الأنبياء عليهم السلام توجد بينهم درجات، فبعض النبيين عليهم السلام أفضل من البعض الآخر، وبعض النبيين عليهم السلام أعلى مقاماً من البعض الآخر، وبعض الأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) أعلى درجات من البعض الآخر، إن الإمام الحسن (صلوات الله وسلامه عليه) أفضل من الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد قال الإمام عليه السلام

(١) سورة الإسراء: ٥٥

لزينب (صلوات الله عليها) يوم عاشوراء: «مات أبي وهو خير مني، ومات أخي وهو خير مني»[1].

إذن التفاضل موجود حتى بين الأنبياء عليهم السلام وبين الأئمة (صلوات الله عليهم)، فهنالك درجات وهنالك تفاضل، ولكنه تفاضل اختياري، يكون باختيارهم وبإرادتهم، ويشير الله تعالى إلى هذه الحقيقة في آية أخرى، وهي الآية التي ذكرناها بدواً: - ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[2]، فالبشر متفاضلون في هذه الدنيا، ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.

إن هذا التفضيل موجود في الدنيا، وموجود أيضا في الآخرة ولكن بشكلٍ أكبر، لأن هذه الدنيا محدودة، فهي دنيا المادة المحدودة، بمعنى أن الذهب في هذه الحياة مهما كثر فهو محدود،

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام: ص١١١. قال عليه السلام لأخته: «يا أخية اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده، أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة».

(٢) سورة الإسراء: ٢١.

فإذا أخذت مقداراً من هذا الذهب، فغيرك لا يتمكن من أن يأخذ نفس ذلك المقدار، حيث ينتهي الذهب وينتهي الملك بالنتيجة.

كم يملك الإنسان من هذه الدنيا؟ إنها دار التزاحمات ودار التنافسات، لكن بالنتيجة تبقى القوى المادية محدودة، أما الآخرة فهي مجال المعنويات، ولا يوجد بين المعنويات تزاحم ولا تنافس، فليس هناك حد معين أمام الدرجات النفسية والروحية، ولذلك ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.

يوجد في هذه الدنيا إنسان لا يملك ديناراً واحداً يأكل به لقمة عشاء، فهذه درجة.

وهنالك من يملك الملايين في الدنيا.

وهكذا ترى هذا التفاضل في الآخرة أيضاً، ولكن بدرجة أشد وأكبر، ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.

تفوق الإمام عليه السلام في جميع الجهات

وبقطع النظر عن اعتقادنا بسيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، لأننا نعتقد بالأدلة العقلية وبالأدلة النقلية الواضحة الجليّة بعظمته ومكانته السامية عند الله عزوجل، فإن

وجوده لا يُقارن بغيره أبداً، ولكن لو نظرنا نظرةً مادية إليه (صلوات الله وسلامه عليه) سنجدهُ وجوداً متفوقاً في جميع الجهات وفي كل الأبعاد، حتى لو كان هناك إنسان كافر لا يعتقد بالله أو مسيحي أو بوذي أو يهودي، وكان ذا إنصاف وأخذ ينظر إلى أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) بتجرّد، لا يمكنه إلا أن يذعن ويقرّ بعظمته وبمقامه، فبئساً لأولئك الذين قارنوا علياً عليه السلام بغيره، ولأولئك الذين ساووا علياً عليه السلام بغيره، أو فضلوا غير عليٍ على عليٍ (صلوات الله عليه):

فأين الثريا وأين الثـــرى وأين معاويةٌ من علي[1]

هذا الكلام لا نقوله نحن، إنما هو قول صاحب معاوية

---

(١) أعيان الشيعة: ج١ ص٥١٧، وفيه: إن معاوية بعد ما ولاه مصر عزله عنها وولاها عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فكتب إليه عمرو بن العاص:

معاوية الحال لا تجهل ❖ وعن طرق الحق لا تعـــدل
خلعت الخلافة من حيدر ❖ كخلع النعال من الأرجل
وألبستها لك يا ابن اللئام ❖ كلبس الخواتم في الأنمـــل
ولولاي كنت كمثل النساء ❖ تعاف الخروج من المنزل
ولم تك والله من أهلها ❖ ورب العباد ولم تكمـــــل
فأين الحصى من نجوم السماء ❖ وأين الحسام من المنجل
وأين الثريا وأين الثرى ❖ وأين معاوية من علـــــي

ورفيقه ووزيره، وهو عدو أمير المؤمنين، إنه عمرو بن العاص الذي قاتَل الإمام عليه السلام، قالها في قصيدته المعروفة.

إذا أراد الإنسان أن يقارن علياً عليه السلام بغيره، يجب أن يكون أعمى البصيرة حتى يساوي علياً بغيره، فالإمام (عليه السلام) يقول: «أنزلني الدهر ثم أنزلني حتى قيل عليٌ ومعاوية»[1].

فهل يُقارن أمير المؤمنين عليه السلام بغيره؟

إن كلمة قالها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) ولم يقلها قبله صادق من الناس العاديين، ولا يمكن أن يقولها صادق من الناس العاديين بعده وإلى يوم القيامة، فجميع العلماء والأطباء والفلاسفة لا يمكنهم القول بذلك، إن كانوا صادقين، اذهبوا إلى جامعات الغرب وإلى أساتذة الغرب وعباقرته، فلا يمكن أن يتجرأ أحد ويقول هذه الكلمة، بينما أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قالها مراراً وتكراراً، قال: «سلوني قبل أن تفقدوني...»[2]، فلو سألته عن علم الفقه وعلم الأصول والرياضيات والطبيعيات وعن كل شيء لأجابك على ذلك جواباً صحيحاً دقيقاً.

---

(١) الإمام جعفر الصادق عليه السلام، لعبد الحليم الجندي: ص٤٥.

(٢) إعلام الورى: ج ١، ص ٣٤٤.

فلا يوجد غير علي (صلوات الله عليه) من يتمكن أن يقول هذه الكلمة وأن يثبت ذلك عملياً، فأمير المؤمنين عليه السلام لم يُسأل بمسألة إلا وأجابها، فكيف تقارن هذا بذاك الذي لا يعرف أي طرفيه أطول[1]، بل يفضل ذاك على أمير المؤمنين، أليست هذه عمى في البصيرة؟ فذلك الذي لا يعرف معنى (الأبِّ)، ولا يعرف معنى الكلمة في كتاب الله ﴿وفاكهةً وأبا﴾[2]، وعندما يُسأل ما هو معنى الأبِّ؟ يهز عصاه ويفكر ويقول وما لكم والتكلف؟ اعملوا بما تعرفونه، وما لا تعرفونه فلا تطلبوه[3]، فهل هذا منطق؟

---

(١) مثل عربي كناية عن مدى جهل صاحبه، والمراد بطرفيه قيل: والديه، فلا يعرف أيهما أشرف لأن طرف الرجل أقرباؤه. وقيل: لا يعلم بالأفضل من نسبهما، وقيل: لا يعرف أي جانب من جسده أطول مع أن الطرفين متساويان عادة فهو لا يعلم حتى بذلك، وقيل: معناه لا يعرف أيّ نصفيه أطول هل الجانب العلوي من بدنه أم السفلي، وقيل غير ذلك.

(٢) سورة عبس: ٣١.

(٣) الغدير، الشيخ الأميني: ج٦ ص٩٩، عن أنس بن مالك قال: إن عمر قرأ على المنبر: ﴿فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا﴾ سورة عبس، قال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب؟ اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه.

أهذا الذي يقول: كل الناس أفقه مني حتى المخدرات في الحجال وحتى النساء في البيوت؟

فكيف يجوز أن يُقارن هذ الرجل بأمير المؤمنين علي ويُفضَّل على عليٍ (صلوات الله عليه).

تفوق الإمام عليه السلام علميا

يُسأل الإمام (صلوات الله عليه) عن قطر الشمس، وكم يكون؟ راجعوا ما يقوله العلماء اليوم، أي بعد أكثر من ألف عام حيث تطوّر العلم بوسائله وأدواته الدقيقة، وانظروا ماذا يجيبون.

وقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام هذا السؤال؟ فقال (صلوات الله عليه): «تسعمائة في تسعمائة ميل».

راجعوا كتاب (التكامل في الإسلام)[1] الجزء الثاني، فقد ذكر هذه القضية وذكر المعادلة العلمية التي شرحها أمير المؤمنين عليه السلام وكشفها قبل العلماء بأكثر من ألف عام.

عندما كنا نقرأ كتاب خلاصة الحساب للشيخ البهائي (رحمه الله)[2] أتذكر هذه القضية، أن رجلاً يهودياً أتى إلى أمير المؤمنين

---

(١) التكامل في الإسلام: ج٢ ص١٠٧. من تأليف الأستاذ أحمد أمين الكاظمي.

(٢) أنوار خلاصة الحساب، لشيخ الإسلام والمسلمين بهاء الدين محمد بن ◄

(صلوات الله عليه)، وأظن كما جاء في الكتاب أن الإمام (صلوات الله عليه) كان يريد أن يركب جواده، وكانت رجله في الركاب، أي أن الإمام عليه السلام لم يكن في وضع طبيعي، فسأل اليهودي أمير المؤمنين عليه السلام أي عددٍ يمكن تقسيمه على اثنين وعلى ثلاثة وعلى أربعة إلى عشرة بدون أي كسر؟

هذا السؤال يحتاج إلى تفكير، وإلى معادلات حسابية، كما يحتاج إلى قانون المضاعف المشترك البسيط، فربما يحتاج الشخص إلى نصف ساعة حتى يفكر ليصل إلى الجواب، هو العدد الذي ينقسم على اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة إلى عشرة بدون أي كسر.

قال له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فوراً: اضرب أيام سنتك في أيام أسبوعك، والحاصل هو الرقم الذي تريده.

بمعنى اضرب ٣٦٠ في ٧ تكون النتيجة ٢٥٢٠ وهذا العدد ينقسم على اثنين وعلى ثلاث وعلى أربعة وعلى خمسة إلى عشرة من دون أي كسر، فدُهش اليهودي وقال: أشهد أن

◄الحسين بن عبد الصمد الجبعي العاملي الحارثي. ولد في بعلبك لثلاث عشر بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ، وتوفي في أصفهان لاثني عشر خلون من شوال سنة ١٠٣١ هـ. انتهت إليه زعامة المذهب والملة في عصره.

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.[1]

إنَّ هذا بُعد واحد من أبعاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وهو البعد العلمي، ناهيك عن تقواه وأخلاقه ورأفته وشفقته وعبادته، إلى آخر الأبعاد التي تجسدت في هذه الشخصية العظيمة.

الاستفادة من الوجود المتفوق

يجب أن يُستفاد من الوجود المتفوق، فالعظيم لابد من الاستفادة منه والانتفاع به ، لا أن يُهمَل ويُترك، لقد ظُلم أمير

---

(١) وفي رواية أخرى في بحار الأنوار: ج٤٠ ص١٨٧ : قال السيد الداماد (قدس سره) في بعض مؤلفاته: رأيت في كتاب قنيس الأنوار في الأوفاق الحرفية والعددية: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول بالحروف والعدد، وكان أحسب الناس، ثم نقل من كتب الرواية أن يهودياً أتاه (عليه السلام) فقال: يا علي أعلمني أي عدد يتصحح منه الكسور التسعة جميعا من غير كسر، وكذلك من كل من كسوره التسعة إلا من أربعة، فيكون له كل من الكسور التسعة مصححا من غير كسر، ولكل من كسوره التسعة كل من الكسور التسعة مصححا من غير كسر إلا الثمن لربعه والربع لثمنه والسبع لسبعه والتسع لتسعه، قال (عليه السلام): إن أعلمتك تسلم؟ قال: نعم، فقال (عليه السلام): اضرب أسبوعك في شهرك ثم ما حصل لك في أيام سنتك تظفر بمطلوبك، فضرب اليهودي سبعة في ثلاثين فكان المرتقى ٢١٠ فضرب ذلك في ثلاثمائة وستين فكان الحاصل ٧٥٦٠ فوجد بغيته فأسلم.

المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في حياته، فمنذ أيام طفولته كان مظلوماً وإلى آخر أيامه، هنالك حديث عن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) فيه إشارة إلى مدى مظلوميته عليه السلام، ومضمون الحديث: إني كنت مظلوما من أيام صغري وإلى هذا اليوم[1].

كان الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مظلوما في حياته، وقد ظُلم بمختلف أنواع الظلم، واستمرت المظلومية وستستمر إلى أن يظهر ولده الإمام المهدي (صلوات الله عليه).

وقد ظلم الناس أنفسهم بظلم أمير المؤمنين عليه السلام..

ولذلك يجب أن ننتفع نحن شيعةَ أمير المؤمنين وأتباعَه من هذا الوجود المقدس، وأن نستفيد ونتعلم منه، ونقدره بكل تقدير، ولا أقل أن نتعرف على حياة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)

---

(١) انظر بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٢٩ ص٥٥٦: سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: ما رأيت منذ بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله) رخاءً والحمد لله، والله لقد خفت صغيرا وجاهدت كبيرا، أقاتل المشركين وأعادي المنافقين حتى قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) فكانت الطامة الكبرى فلم أزل حذراً رجلا أخاف أن يكون ما لا يسعني معه المقام، فلم أر ـ بحمد الله ـ إلا خيرا، والله ما زلت أضرب بسيفي صبيا حتى صرت شيخا، وإنه ليصبرني على ما أنا فيه أن ذلك كله في الله، وأنا أرجو أن يكون الروح عاجلاً قريبا، فقد رأيت أسبابه. قالوا: فما بقي بعد هذه المقالة إلا يسيرا حتى أصيب عليه السلام.

ومنهجه.

في السابق كان المؤمنون يحفظون نهج البلاغة، وهو قطرة من علم أمير المؤمنين عليه السلام، فالإمام له خطب وكلمات كثيرة جداً، كان منها خطبة خطبها في ثمان ساعات تقريباً، وهي غير مذكورة لأنها ضاعت، ولذلك قلنا بأن نهج البلاغة قطرة من علمه صلوات الله عليه.

لقد كان آباؤنا يحفظون نهج البلاغة قديماً، وهو مصداق للانتفاع بهذا الوجود العظيم، وكان البعض يحفظ الخطبة الشقشقية[1]، وكانوا يحفظون كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المختلفة، ويتدارسونها وكانوا يعملون بكلماته (صلوات الله عليه).

إن كلمة واحدة في نهج البلاغة أو في غيره تفتح آفاقاً أمام

---

(١) وهي الخطبة التي تشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ومن غصبها، ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له حيث قال (عليه السلام): «أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ...»، نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣.

الإنسان، فالشريف الرضي[1](رحمة الله عليه) يقول في مكان من نهج البلاغة، ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى[2].

---

(١) أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام، ولد سنة ٣٥٩ هـ وتوفي سنة ٤٠٦ هـ، وهو الذي تولى جمع بعض خطب وكتب وحكم أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب أسماه نهج البلاغة.

(٢) وَقَالَ (عليه السلام) لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ: لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً، يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ، إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ، يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ، إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ، وَإِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ، يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ، يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ، وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى، يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَماً، وَالْغُرْمَ مَغْنَماً، يَخْشَى الْمَوْتَ وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ ◄

الإنسان قد يتأثر بكلمة صادرة من واعظ متعظ، فكيف إذا كانت هذه الكلمة صادرة من إمام الكلام، فليس هو واعظا متعظا فقط، وإنما إمام معصوم، فكم تؤثر هذه الكلمة فيه وفي روحه، وكم تغيّر من حياته؟

لماذا حياتنا العائلية مضطربة؟

ولماذا حياتنا الاجتماعية مضطربة؟

ولماذا حياتنا الاقتصادية مضطربة؟ ولما ذا ولما ذا ؟

لأننا ابتعدنا عن هذه الكلمات النورانية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾[1]، و(ضنكا) تعني أشد أنواع الضيق، وهذا ما نراه اليوم فالإنسان مضطرب

►مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ، اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ، يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ.

قال الرضي: ولو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر.

❖ وقال (عليه السلام): «قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ». قال الرضي: وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة ولا توزن بها حكمة ولا تقرن إليها كلمة.

(١) سورة طه: ١٢٤.

في حياته العائلية، الزوجة مضطربة والزوج مضطرب والأولاد مضطربون وهكذا، والحياة الاجتماعية قلقة، والإنسان في قلق وغير مرتاح في هذه الحياة، لأنه ابتعد عن ذكر الله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

من اكتشف مفهوم الطبقية؟

لاحظوا هذه القضية وعليها فقس ما سواها،

أنقلها لكم عن رجل مسيحي [1]، (والفضل ما شهد به الآخرون) يقول في كتابه: (الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية)، إن صديقه وهو أحد الكتّاب اللبنانيين من المسلمين ذهب إلى إحدى البلاد الأوروبية يوما والتقى هناك برجل مهم جداً، كان وزير المعارف وكان يسعى بلده للدفاع عن حقوق الفقراء والضعفاء.

فيقول الرجل اللبناني أنه قال لذلك الأجنبي: إننا سبقناكم بألف عام في إدراك حقيقة المجتمع الطبقي، وأنتم تنادون الآن بالمجتمع اللاطبقي، المجتمع الذي ليس فيه فقراء

(١) الكاتب المسيحي المعاصر: جورج جرداق.

وضعفاء.

فأجاب: وكيف؟ إن هذا شيء جديد، فقضية الطبقات والمجتمع اللاطبقي والدفاع عن حقوق الفقراء هو شيء جديد.

فرد عليه الرجل قائلا: كلا، كيف تقول إن المجتمع الطبقي شيء جديد، وقد قال أحد رجالنا وكان يعيش قبل أكثر من ألف عام اسمه علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)، قال في نهج البلاغة: «ما رأيت نعمةً موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيّع»[1]، فإذا رأيت النعمة في مكان والفقر في مكان، فإن هذا الفقر هو نتيجة لتلك النعمة الموفورة التي لم يراع فيها حق الله، وإذا رأيت فقيراً يتلّوى من الجوع فيقع ذنبه على الأغنياء الذين لا يعطونه، إن هذه الكلمة التي قالها الإمام عليه السلام شرح فيها المجتمع الطبقي وعوامل تكوّن المجتمع الطبقي وبين الحلول والأسباب قبل أكثر من ألف عام.

فقال الأجنبي: إذن نحن أفضل منكم، وحين سألته لماذا؟

قال: لأن رجلا منكم كشف هذه الحقيقة قبل أكثر من ألف عام، وبلادكم إلى اليوم تضج بالمظالم الاجتماعية والفقر

---

(١) روائع نهج البلاغة: ص ٢٣٣.

والمشاكل، فالإمام قال هذه الكلمة ولكنكم لم تدركوها ولم تعملوا بها، إذن نحن أفضل منكم لأننا لا نعيش الآن الوضع الذي عندكم. وهذه حقيقة في بعض بلادهم وإن لم يصلوا إلى مستوى كلمة الإمام عليه السلام ولن يصلوا إلى مستواها، لكن وضعهم أفضل نسبياً من وضعنا في هذا الاتجاه.

حقاً إن الأمر مؤلم، فهذا الوجود العظيم المبارك صلوات الله عليه، يجب علينا أن نستفيد منه بقدر الإمكان، وأن نقرأ كلمات الإمام، ونحفظها وننشرها ونعمل بها، وأن نضع برنامجا لنهج البلاغة في كل المجتمع من المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها، لأن في هذا صلاح دنيانا وآخرتنا.

وأخيرا نهدي إلى أرواح شيعة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) وإلى أخينا العلامة الحجة الشيخ إبراهيم الحائري (رحمة الله تعالى عليه) الذي نقلوا عنه أن آخر كلمةٍ تلفظ بها، عندما نقلوه من البيت إلى سيارة الإسعاف وقد أخذ بدنه يعرق عرقاً شديداً، وهذه من علامات المؤمن إذا نزل به الموت حيث يعرق جبينه، فكان آخر كلمة قالها: (يا علي)، ثم انطفأ صوته وخمدت أنفاسه، فإلى أرواح شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وإلى روح هذا الفقيد نهدي ثواب الفاتحة مع الصلوات.

٢

الإمام علي عليه السلام .. مجمع أبعاد الشخصية الإنسانية

جُمعت في صفاتك الأضداد

ولهذا عزت لك الأنـــداد [١]

هذا اليوم يوم عظيم من أيام الله، وهو ذكرى ميلاد مولى الموحدين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه).

إن العظماء والقادة والمشاهير في التاريخ كثيرون، ولكن عندما تقرؤون تاريخ العظماء تجدون أن شخصيات معظم هؤلاء ذات بُعد واحد، فكل شخصية منهم كان عظيماً في بُعد من أبعاد الحياة، أو جانب من جوانبها؛ فهنالك عالم في الطب ولكنه فاقد لبقية العلوم، حتى إذا افترضنا أنه كان عالماً موسوعياً ومحيطاً بجانب من كل العلوم، فإنه يبقى عالماً نسبياً

(١) من قصيدة للصفي الحلي رحمه الله في وصف أمير المؤمنين عليه السلام. راجع أعيان الشيعة: ج١ ص٣٢٩.

فقط، ولكن ليس له شيء آخر وراء العلم؟ وهل له نبوغ في بعد آخر من أبعاد الكمالات الأخلاقية وإدارة المجتمع وتربية الأجيال؟ كلا ؛ وإنما عالم وحسب.

يقول بعض الفلاسفة مثل ابن سينا: إن غالب العلماء في الطب أو في الطبيعة أو في الرياضيات لا يكونون شجعاناً، وغالب الشجعان لا يكونون علماء ؛ فكأن هذا العلم والمعرفة تخلق في داخل النفس نوعاً من التحفظ، لذلك يكون العالم جباناً، فيما قد لا يكون الشجاع عالماً ؛ فيوجد نوع من التعارض على الأغلب بين الحالتين.

لذا لا نقرأ في كتاب ولا نسمع من الخطباء أن لحاتم الطائي صفة ثانية غير الكرم التي كان يتميّز بها، ولم ينقل عنه أنه كان شجاعاً أو عابداً أو زاهداً.

وكذلك كان الأحنف، حيث كان يُضرب به المثل في الحلم كما يذكر التاريخ، إذ كان يعفو عمن كان يُسيء إليه، وكان سقراط وأفلاطون مفكرين من عمالقة الفكر البشري، لكن لم نقرأ أن سقراط أو أفلاطون أو أرسطو كانت لهم صفة ثانية غير صفة الفكر، وحتى إذا كانت عندهم صفة ثانية من صفات الكمال، إلا أنها لا تكون بالوضوح والظهور الكافي، ولم يكن

لأصحابها النبوغ في تلك الأبعاد والجوانب الأخرى.

لذا فإن قلة من العظماء و المشاهير من نجدهم ينبغون في أكثر من بعد، كما نجد قلة من قلة من يجمع بين الأبعاد المختلفة، وقلة من قلة هم القمة والصفوة الذين قد لا يتجاوزون عدد الأصابع.

وثمة من الأفراد من يجمعون ليس فقط بين الصفات المتعددة وإنما بين الصفات المتناقضة عادة، حيث إن هناك صفات متناقضة وهنالك صفات غير متناقضة، فأن يكون الإنسان كريماً ويكون أيضاً شجاعاً، فإن ذلك لا يعد تناقضاً، لكن توجد بعض الصفات المتناقضة التي لا يمكن عادةً أن تجتمع في نفس واحدة، إلا إذا كانت هذه النفس عظيمة جداً، من هنا يخاطب ذلك الشاعر أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه) ويقول:

جمعت في صفاتك الأضداد ولهذا عزت لك الأنداد

من هنا فإن نظائر وأشباه الإمام علي (صلوات الله وسلامه عليه) قليلون جداً على مر التاريخ فليس له نظير إلا المعصوم (صلوات الله عليه).

قد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) حاكماً وعالماً أيضاً، وهو ما لا نجده في التاريخ كله، فعندنا علماء لكنهم ليسوا بحكّام، فيما

عندنا حكّام ولكنهم ليسوا بعلماء، فالحكم يعني إدارة البلاد والعباد، وهو ما يحتاج إلى طاقات هائلة وتفرّغ، وحتى وإن كان مديراً لمعمل فإنه لن يتمكن من التفرّغ لطلب العلم، وعليه لا يمكن عادةً الجمع بين الإدارة وبين العلم، إلا أن أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) كان حاكماً وعالماً.

كما كان حليماً وشجاعاً؛ فالشجاع عادة لا يكون حليماً وإنما يكون شديداً، حيث تدفعه القوة إلى البطش، إلا أننا نجد شخصية الإمام في قمة الشجاعة وأيضاً هو في قمة الحلم، فهو حاكم، عالم، حليم، شجاع، فاتك، ناسك، فقير، جواد.

فهو فقير لا يملك شيئاً ولكنه جواد، فهل تجد فقيراً يكون جواداً؟!

وهل تجد جواداً فقيراً؟! لأن الذين ينفقون عادةً يكونون من المقتدرين، فالمشاريع الخيرية لا يقيمها سوى المؤمنين المقتدرين، ولو قدرة في حدود، ولكن كيف إذا أخذ الإنسان من قوت نفسه وعائلته وأعطاه للفقراء في سبيل الله؟ إنه الفقير الجواد.

خلقٌ يخجل النسيم من اللطف

وبأس يذوب منه الجمـــــاد

شيمٌ ما تجمعنّ في بشر قـــــط

ولا حاز مثلهنّ العبـــــــادُ [1]

من صفات أمير المؤمنين عليه السلام

في هذه العُجالة نشير إلى بعض هذه الصفات التي تميّز بها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، لعلنا نتعلم منها:

أولاً: التواضع

وهي حالةٌ روحية تظهر على جوارح الإنسان، بمعنى أن يُظهر الإنسان المتواضع تواضعه في كلامه وسيره وحركته وسكونه، وفي تعامله مع المجتمع ومع أولاده ومع الذين يخدمونه.

لكن ما هو منشأ حالة التواضع هذه؟ ولماذا يكون الإنسان متواضعاً؟ أو لماذا يكون متكبّراً؟.

يجيب أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) عن هذا السؤال بقوله: «ما تواضع إلا رفيع»[2]، أي إن التواضع دليل رفعة

---

(١) من قصيدة للصفي الحلي رحمه الله في وصف أمير المؤمنين عليه السلام. راجع أعيان الشيعة: ج١ ص٣٢٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٥.

الـنفس وعظمتهـا، ودليـل شمـوخ الـروح، فالإنـسان الرفيـع والعظيم والشامخ هو الذي يتواضع.

كما أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يبين هوية المتكبّر في قوله: «ما تكبّر إلا حقير»[1]! وهي كلمة حادّة، ولكن الأئمة (صلوات الله عليهم) كانوا يبيّنون الحقائق كالمرآة، ليكشفوا مواطن الخلل، ولا ينبغي لأحد أن ينزعج من بيان الحق؛ فهذه هي علة التكبّر.

إن عقدة الحقارة، آخر مكتشفات علم النفس في الوقت الحاضر، والتكبر ينشأ من حقارة في النفس؛ فالمصاب بعقدة الحقارة يحاول تغطية هذه العقدة بالمظاهر الخارجية، من قبيل التجبّر والتكبّر، وعبر النظر إلى نفسه بأنه فوق الآخرين أو أعلى منهم.

هذا الواقع التكويني النفسي كشف عنه الإمام علي (صلوات الله عليه).

من جانب آخر يقول الإمام الصادق (صلوات الله عليه): «ما تكبّر رجل إلاّ لذلّة يجدها في نفسه»[2]، وإلا فالإنسان المتوازن

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٥ وفيه: «ما تكبر إلا وضيع».

(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٨٥ وفيه: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة يجدها في نفسه».

وذو الشخصية التي يسمّيها علماء النفس بالسويّة، لا يحتاج إلى تكبّر؛ إذن فالذي يتكبر ويتعالى على الآخرين هو شخصية مريضة، وهكذا إنسان يكون حقيراً وذليلاً أيضاً، لذا لا ينبغي لأحد أن يتكبر على الآخرين، مضافا إلى أن ذلك الإنسان العادي الذي تكبر عليه ربما يكون أفضل من ذلك المتكبّر، لاسيما وأنه من خلق الله تعالى، وقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم»[1].

وحتى إذا افترضنا أن ذلك الإنسان كان بالفعل أقل شأناً منك، لكن كما أشرنا فيما مضى من الحديث لابد للإنسان أن يتعامل مع الآخرين بتواضع لا من خلال شخصيته الاعتبارية ولا من خلال شخصيته الحقيقة، حتى التفوق والكمال لا بد أن لا يكون مبرراً للتعالي على الآخرين.

نماذج من تواضع الإمام علي عليه السلام

لقد حلّ الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أعقد المعادلات الرياضية بكلمة واحدة قبل أربعة عشر قرناً من الزمن[2]، وهو

---

(١) المبسوط: ج ٨ ص١٤٧.

(٢) للتفصيل راجع كتاب (التكامل في الإسلام) لأحمد أمين الكاظمي.

الشخصية الثانية في الكون كله بعد النبي الأكرم (صلوات الله عليه)، ومع تلك الصفات العظيمة التي كان يحملها، والكمالات الحقيقية والاعتبارية، مضافاً إلى كونه حاكماً على جميع البلاد الإسلامية، ماعدا الشام؛ مع كل ذلك كان يتعامل مع الناس وكأنه واحد منهم.

يقول أحد أصحابه (صلوات الله عليه) وهو ضرار بن ضُمرة: (كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا دعوناه، ويبتدؤنا إذا سكتنا).[1]

وذات يوم كان الأمام أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) راكباً فالتفت فرأى أن جماعة يمشون خلفه، فالتفت إليهم وقال: ألكم حاجة؟! قالوا: لا.

فقال لهم: (انصرفوا فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي)[2].

و يُنقل عن أحد العلماء أنه كان يمشي خلف بعض مراجع التقليد (رحمة الله عليهم) فكان ذلك المرجع يلتفت إليه ويقول له: هل عندك مسألة أو حاجة؛ فإذا قال: لا؛ يقول له: إذن انصرف ولا تمش خلفي! وقد جاء في الحديث: (لم يهلك

---

(١) الأنوار العلوية: ص٤٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص٥٥.

هؤلاء... إلا بخفق النعال خلفهم)[1]، لأن هذا يجلب للإنسان العُجب والغرور عادة، لاسيما وأن الإنسان ليس معصوماً.

نقل عن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أنه أتاه ذات يوم أبٌ وابن، فجلس عليه السلام أمامهما تواضعاً.

ـ وقد كان السيد الخوانساري (رحمة الله عليه) وهو المرجع الكبير، يفعل نفس الشيء إذا جاءه أحد الأشخاص، حيث يجلس أمامه في وسط الغرفة تواضعاً له، ولأجل تبكيت النفس الأمارة بالسوء ـ.

فأمر الإمام (صلوات الله عليه) لهما بطعام، فأكل الأبُ والابن، وربما كانوا من الأفراد العاديين والمجهولين، فجاء قنبر بطشت الماء والإبريق والمنديل لغسل يد الضيف، وكان هذا متعارف آنذاك، فقام الإمام (صلوات الله عليه) وأخذ الطشت والإبريق وأراد أن يصب الماء على يدي الأب، مع ما لدى أمير المؤمنين عليه السلام من المقام الظاهري والمقام الواقعي، فقام الأب من مكانه، لكن أمير المؤمنين عليه السلام طلب منه بأن يجلس في مكانه قائلا:

لا إشكال في ذلك، أخٌ من إخوانك يخدمك لأجل الله، يريد بذلك الثواب عند الله.

فجلس الرجل وهو مضطرب، ثم مد يده لكنه كان

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١ ص٢٨٠.

مضطرباً ويريد أن ينهي الغسل بسرعة ؛ فقال الإمام (صلوات الله عليه) : «أقسمتُ عليك إلا ما جلستَ مطمئناً كما لو كان الصاب على يدك قنبر»!

فجلس الرجل، وصب الماء الإمام عليه السلام على يديه الماء إلى أن أنهى غسلها، ثم التفت إلى ولده محمد بن الحنفية وقال: «إن الله تعالى أبى أن يسوّي بين الأب والابن إذا جمعهما مكان واحد»[1]، وذلك احتراماً للأب، ثم قال الإمام (صلوات الله عليه) : صبّ الأب على يد الأب ؛ فليصب الابن على يد الابن ؛ فقام محمد بن الحنفية وصب الماء على يد الابن.

فعلى الأبناء مراعاة آبائهم، فقد لاحظت بعض الأبناء يجلسون في مكانهم فيما الأب ينهض لجلب الفاكهة إلى المجلس! وهو أمر غير جيد من الناحية الأخلاقية، وأيضاً من ناحية الآداب الشرعية. أو قد يكون الأب ضعيفاً وشيخاً كبيراً فيمشي بهدوء مع الابن، فنجد الابن يتقدم عليه ويسبقه في المشي، أو يدخل قبله إلى مكان معين، وهذا غير صحيح من الناحية الأخلاقية والآداب الشرعية.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢ ص ٢٦٨.

عمل الإمام علي عليه السلام في البيت

كان الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يذهب إلى السوق ويحمل بيده الملح أو التمر وغيره إلى البيت، فكانوا يبادرون إلى الإمام ويقولون: نحن نحمل عنك؛ فيقول: «رب العيال أحق بحمله»، وكان الإمام يقرأ هذا البيت:

لا يُنقِصُ الكاملَ من كمالِه ما جرّ من نفعٍ إلى عيالِه[1]

هذا ليس نقصاً أن يخدم أو يشتغل الإنسان في أي عمل.

فكان أمير المؤمنين عليه السلام يعمل عملاً لا أظن أنَّ كثيراً منا يعمله في الوقت الحاضر، كان يكنس بيته بنفسه، فما المانع أن يكنس الرَّجُل بيته؟ هل في ذلك إشكال؟ وهل هذه ضعة؟ أيجب أن تكنس الخدامة البيت؟ أنت أيضاً أكنس البيت، لأن الله تعالى يحب النفوس المتواضعة.

وقد كان الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يلبس ثياباً مرقعة[2]؛ فسُئل عن سبب ذلك فقال: «لتذلّ به النفس

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٣٧٢.

(٢) راجع مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١ ص٣٦٥، وفيه: ورؤي عليه أزار مرقوع فقيل له في ذلك فقال: يقتدي به المؤمنون ويخشع له القلب وتذل به النفس ويقصد به المبالغ، وفي رواية: أشبه بشعار الصالحين، ◄

ويقتدي به المؤمنون»[1]، إذ النفس بحاجة إلى إذلال وكبت.

ولا نقول بأن يلبس الواحد منّا الملابس المرقعة، إن هذا مظهر وحسب؛ والكلام في الجوهر، لأن المجتمع أحيانا ربما لا يتقبل الملابس المرقعة[2]، لكن المهم هو الجوهر وهو التواضع.

وقد قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فيما كتبه لأحد ولاته كما في نهج البلاغة:

«ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تِبراً،

► وفي رواية: هذا أبعد لي من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم.

(١) نهج البلاغة: باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) يقول صاحب (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة): حبيب الله الهاشمي الخوئي: ج٢١ ص١٥٢:

الظاهر أنّ لبسه (عليه السّلام) للإزار المرقوع، كان في أيام حكومته وزعامته الظاهريّة، وفي هذا العصر توسّع على المسلمين العيش، وحازوا أموالاً وغنائم كثيرة من الرّوم والفرس، واعتادوا لبس الثياب الفاخرة والتجمّل بالزينة الظاهرة وخصوصا الأمراء منهم وأصحاب السّلطنة، ولما رئي عليه هذا الإزار الخلق المرقوع وقع في محلّ العجب وعدّ إهانة بمقام المتصدّى له، فأجاب (عليه السّلام) بأنّه رياضة للنفس، وتسلية للمؤمنين، وينبغي أن أكون أسوة لأهل الإيمان في لبس الخلقان، لينكسر تسويل الشيطان.

ولا ادّخرتُ من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا».[1]

من هنا ليصمم كل واحد منّا على أن يكون متواضعاً مع الجميع؛ مع زوجته، ومروراً بأولاده ومع الذين يخدمونه.

ولا بأس بأن يخدم أحياناً في البيت فيكنس مثلاً، وهو ليس عملاً معيباً؛ فقد كانت فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) تجعل لخادمتها يوماً تخدم في البيت، وفي اليوم الثاني تخدم هي بنفسها في البيت، فكان يوم عليها ويوم على خادمتها.

ثانياً: الزهد في حطام هذه الدنيا

كان الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يقول: «جُعل الخير كله في بيت وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[2].

فعدم تعلق القلب بالدنيا، وعدم الانشداد إليها، هو مفتاح لكل الخيرات الدنيوية والأخروية معاً، فإذا أراد الإنسان راحة

---

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام. أي ما كان يهيؤ لنفسه طمرا آخر بدلا عن الثوب الذي يبلى، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فإن مجموع الرداء والإزار يعد ثوبا واحدا فبهما يكسو البدن لا بأحدهما.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٢٨.

النفس، فإن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يدله على مفتاحها بقوله: «الزهد في الدنيا الراحة العظمى»[1].

فالذي لاتهمه الدنيا يكون مرتاحاً، سواءً خسر في تجارة أو ربح فيها، فإذا تعرض لخسارة في تجارته لا ينكسر لأن قلبه لم يكن مشدوداً لتلك التجارة، ولم يكن قلبه معلّقاً بتلك الأموال، وفي ذلك يقول الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «...فما راعني إلا والناس ينثالون إلي»[2]، أي إن المسلمين توافدوا إليه، يطلبون منه البيعة وأن يكون الحاكم؛ فماذا قال لهم؟ قال لهم: «دعوني والتمسوا غيري»[3]، لأن الخلافة لم تكن تهمه، ولم تكن لتسوى عنده شيئاً، فلا يهمه سواءً أعرض عنه الناس أو اجتمعوا حوله.

وكان عليه السلام يقول: «إن دنياكم هذه أهون عندي من عراق خنزير في يد مجذوم»[4].

وفي رواية أخرى: «أهون عندي من ورقة في فم جرادة

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم٣ (الشقشقية).

(٣) نهج البلاغة: من خطبة له عليه السلام لما أريد على البيعة.

(٤) نهج البلاغة: من حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

تقضمها»[1].

إن من يمتلك هكذا روحية عالية لن يتأثر بهذه الدنيا، ولن يصاب بأمراض القلب والسكري والضغط وغيرها من الأمراض بسبب كساد التجارة أو قلة الربح أو زيادته، فالربح هو فضل من الله تعالى، فيما الخسارة امتحان منه عزوجل، وإنسان كهذا سوف لن يبخل بحطام هذه الدنيا.

وذات يوم دخل رجل على الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكان الفصل شتاءً، حيث البرد القارس، لكن لم ير على الإمام عليه السلام سوى ثوب واحد، وكان بالياً خلقاً، وكان يرتعد الإمام عليه السلام من البرد وليس من مرض، فإنه كما يذكر بعض المحققين لم يكن الإمام يصاب بمرض لدعاء النبي (صلى الله عليه وآله)[2].

فلما رأى ذلك الرجل هذه الحالة قال: يا أمير المؤمنين، هذه الأموال تحت يدك، اشتَرِ منها شيئاً، فقال (صلوات الله عليه): «وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من بيتي»[3]، فهذا هو نفس

---

(١) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٢ ص٦١.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي: ج٣ ص٦٤٤.

الثوب الذي خرج به (صلوات الله عليه) من المدينة إلى الكوفة حيث أصبح الحاكم الأعلى.

بل قرأت في بعض الروايات قوله: (يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان فأنا خائن)[1].

وهكذا كانت سيرته (صلوات الله عليه) فالمال للمسلمين، ولا شأن له بأموال المسلمين

قال تعالى: ﴿**اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون**﴾[2].

وكان الإمام عليه السلام إنما يأخذ المال ليعطيه لفقرائهم.[3]

بيت الإمام علي عليه السلام

عندما جاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة ليتسلم مقاليد الحكم، ووصل إلى قصر الإمارة الضخم؛ قالوا له: تفضل بالدخول في قصر الإمارة!

فقال: لن أدخل قصر الإمارة أبداً، فهو للحكام. ثم بنى

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٣٧.

(٢) سورة يس: ٢١.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١ ص٣٧٧. وفيه قال (عليه السلام): «إن هذا المال ليس لي ولا لك وإنما هو للمسلمين».

لنفسه بيتاً متواضعاً من ثلاث غرف وجلس في ذلك البيت، إلى جانب قصر الإمارة، ويقال إن بقايا هذا القصر ما تزال موجودة، كما ان بقايا بيت أمير المؤمنين عليه السلام موجودة أيضاً.

يقال إن شخصاً من غير الموالين ومن غير الفرقة الناجية ذهب إلى النجف الأشرف، ورأى القبة المهيبة لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) والملايين التي تطوف حول ذلك الضريح الطاهر المقدس، فأُخِذَ بهذا المنظر وقال لمرافقه: إن علياً كان في حياته يسكن الكوخ، فَلِمَ بَنيتُم كُلَّ ذلك بعد وفاته؟!

فأجابه ذلك الرجل المرافق والموالي: إنما بنينا له هذه لأنه كان يسكن الكوخ، ولأنه في حياته كان مُعرِضاً عن الدنيا، فبُنِيَت له هذه القبة وهذه العظمة والشموخ؛ فيما كان معاوية متهالكاً على الدنيا وزخارفها، فلا ترى اليوم حرمة لقبره، ومن المتعذر الوصول إلى قبره، بل لا أحد يدلك على قبره، وهو في مكان مظلم وخرب، وربما يصاب الإنسان بالكآبة برؤيته.

لذا قال ذلك الشاعر السني الذي مرّ على قبر معاوية، ثم جاء إلى قبر أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، حيث العظمة والشموخ، أخذ يخاطب معاوية:

أين القصور أبا يزيد ولـهوها

والصافنات وزهوها والسؤدد

أين الدهاء نحرت عزته علـى

أعتاب دنياً سحرها لا ينفـــدُ

هذا ضريحك لو بصرت ببؤسه

لأسال مدمعك المصير الأسود

قم وارمق النجف الأغر بنظرة

يرتد طرفك وهو باكٍ أرمـــدُ

تلك العظام أعز ربك قـدرها

فتكاد لولا خوف ربك تعبـدُ[1]

ويقـال: إن أحـد الحاضـرين قـام مـن مكانـه عنـدما كـان هـذا الشاعر يتلو قصيدته وقال: (...لقد عُبدتَ وليس تكاد تُعبد) في إشارة إلى جماعة عبدوا أمير المؤمنين عليه السلام.

نعم إن هـذه الـدنيا لا قيمـة لهـا، ولم يـصنع فيهـا أمـير المؤمنين عليه السلام شـيئاً لنفـسه، أمـا الآخـرة فعلينـا أن نـذهب إلى الآخـرة لنـرى مقام أمير المؤمنين عليه السلام هناك، ذلك المقام العظيم الذي أعطاه له الله عزوجل. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا في هـذه الـدنيا زيارتـه، وفي الآخرة شفاعته، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) مقطع من قصيدة للشاعر السوري محمد مجذوب.

٣

جوانب من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم عليه السلام في علمه، وإلى نوح عليه السلام في عبادته، وإلى إبراهيم عليه السلام في خلته، وإلى موسى عليه السلام في مهابته، وإلى عيسى عليه السلام في عبادته، وإلى يحيى عليه السلام في ورعه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فإن فيه سبعين خصلة من خصال الأنبياء»[١].

في ذكرى ميلاد إمام المتقين وسيد الموحدين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) نبارك للمؤمنين هذا اليوم العظيم[٢]، ونسأل الله تعالى أن يعيده علينا بالخير والبركات.

نبدأ حديثنا هذا ببحث نظري لعله يعالج كثيراً من الإشكالات القائمة في الساحة.

هنالك ظاهرة نلمحها، لعلها في الوجود كله وهي ظاهرة

---

(١) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: السيد عبد الله شبر: ص١٥٥.

(٢) يوم ولادته عليه السلام هو يوم الثالث عشر من شهر رجب المرجب.

التفوق، إذ خلق الله سبحانه وتعالى بعض الموجودات وبعض الكائنات متفوقة على مجموعة أخرى من الكائنات، حيث إن بعضها أفضل وأجود من البعض الآخر.

التفضيل المادي

يشير الله تعالى إلى هذه الظاهرة في بعض مصاديقها وفي بعض مفرداتها فيقول: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾[1]، فهذه الثمرات التي تجدونها نابتة في أرض واحدة وماء واحد حيث لا تختلف الأرض ولا الماء ولا المناخ، ولكنها مختلفة وقد فضل الله تعالى بعض هذه النباتات على بعضها الآخر، وفضّل بعض هذه الثمرات على بعضها الآخر.

وهذا يعني أنه توجد في عالم النباتات موجودات متفوقة، وتوجد هنالك موجودات غير متفوقة ، هذا هو تفضيل المادي.

التفضيل المعنوي

ولكن هناك تفضيل آخر وهو التفضيل المعنوي، يقول الله عزوجل: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[2]،

---

(١) سورة الرعد: ٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

فكلهم عليهم السلام أنبياء وكلهم رسل وكلهم يوحى إليهم وكلهم متصلون بالله ولكن مع ذلك، توجد هنالك مراتب ودرجات بين هؤلاء الرسل، فبعض الرسل فوق البعض الآخر من ناحية المقام ومن حيث المنزلة ومن جهة الدرجة، فهذا هو التفضيل المعنوي، وذاك هو التفضيل المادي، وقد ذُكر كلا النوعين من التفضيل في القرآن الكريم.

لكن المشكلة الحقيقية الموجودة ـ وهذا ما يمكن أن نعبر عنه بالمشكلة الكبيرة في الأمة ـ أن البعض يقبلون بالتفوق المادي في كل شيء، حيث يقبلون التفوق في عالم الجمادات وفي عالم النباتات وفي عالم الحيوانات وفي سائر العوالم، ولا يشكل لهم مشكلة، ولكن عند ما يصل الدور إلى التفوق المعنوي في أولياء الله، يشككون في ذلك، فكيف قبلتم بالتفوق المادي في عالم النباتات وفي عالم الحيوانات وفي عالم الجمادات، وتشككون في وجود تفوق لولي من أولياء الله تعالى من الناحية المعنوية؟

فعند ما يقال إن أمير المؤمنين علياً (صلوات الله عليه) كان يكلم الموتى، يأتي أحدهم فيشكك بذلك ويقول: كيف يمكن أن يكلم الموتى؟

وعندما يقال: إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يكلم

الثعبان فوق المنبر، فإنه يشكك في ذلك.

حيث كان الإمام عليه السلام في مسجد الكوفة يخطب فوق المنبر فجاءه ثعبان وهمس في أذن الإمام (صلوات الله عليه) بكلمات وأجابه الإمام عليه السلام بكلمات، ثم ذهب الثعبان[1].

وعندما ينقل هذا الشيء تجد التشكيك من البعض، وتجد الإنكار من البعض الآخر.

لكنّ هذا يعدُّ نوعاً من أنواع التفوق المعنوي لأولياء الله تعالى على الآخرين، حيث منحهم الله عزوجل هذه القدرة على المعاجز. وهو عطاء رباني، فهو سبحانه كما أعطى التفوق في تلك الأبعاد المادية فما هو المانع أن يعطي التفوق في هذه الأبعاد المعنوية؟

وعند ما يقال: إن علياً (صلوات الله عليه) كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[2]، يعتبر هذا نوعاً من أنواع التفوق المعنوي، فيأتي أحدهم ويشكك في ذلك.

ولا يخفى أن هذا التشكيك وهذا الإنكار، إما يعبر عن غفلة صاحبه لهذه الحقيقة المذكورة وهي التفوق المعنوي، وإما

---

(١) راجع: بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ص١١٧.

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٣٥٦.

يعبر عن انهزامية في الروح.

يقول هذا البعض: إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان بشراً مثلنا..

صحيح إن أمير المؤمنين عليه السلام هو بشر مثلنا من الناحية الظاهرية، ولكنه بشر متفوق، ولا يمكن أن يقاس الوجود المتفوق ببقية الوجودات.

علم أمير المؤمنين عليه السلام

بعد هذه المقدمة ننتقل إلى بعض تلك الجوانب المهمة المتفوقة في أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

فمن جملة الأبعاد والجوانب في حياة أمير المؤمنين عليه السلام هو العلم، وقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه...». فالعلم اللدني الذي كان عند آدم عليه السلام لم يكن علماً اكتسابياً عادياً، كما هو علمنا نحن البشر، فعلمنا محدود، ويخطئ مرة ويصيب مرة.

ولكن الله تعالى قد علّم العلم اللدني لآدم عليه السلام حيث قال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[1]، وقد أعطى الله سبحانه

---

(١) سورة البقرة: ٣١.

هذا العلم الذي علمه آدم، لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بل أكثر من ذلك. فمن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه.

إذن كما كان آدم عليه السلام يعلم الأسماء كلها، فقد كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يعلم الأسماء كلها.

فماذا تعني تلك الأسماء؟ إن (الأسماء) في بعض معانيها تعني العلوم كلها.

فما هو العلم؟ علم الفقه، وعلم الأصول، وعلم الطب ... وغيرها.

إن كل علم مجموعة من الأسماء، فما هو الفرق بين الفقيه وغيره؟ إن الفقيه يعرف مجموعة من الأسماء كالواجب والحلال والحرام والأحكام الوضعية والأحكام التكليفية، هذه كلها مجموعة من الأسماء يملكها الفقيه، وبهذه الأسماء يتفوق على غيره.

وما هو الفرق بين الطبيب وغير الطبيب؟ إن الطبيب يملك مجموعة من الأسماء، أي مجموعة من المصطلحات يعرفها ويتعامل معها.

فإذا عرف إنسان الأسماء كلها فماذا يعني هذا؟

هذا يعني أنه عرف العلوم كلها، وإذا قال الله تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ فهو يعني أن آدم عليه السلام كان محيطا بجميع العلوم، وإذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه فلينظر إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه» فمعنى هذا أن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) كان يعلم العلوم كلها.

فهل يوجد إنسان ـ باستثناء المعصوم عليه السلام ـ يعيش فوق الكرة الأرضية يمكن أن يقول: أنا أعلم كل العلوم؟!

بل هل يوجد من يدعي أنه يعلم علما واحداً بأكمله، ويقول: أنا أعلم هذا العلم كله؟!

بمعنى أن يقول طبيب مثلاً: أنا أعلم بعلم الطب بأجمعه؟

ولكن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يعلم الطب كله، والفقه كله، والأصول كله، وجميع العلوم كلها.

إنك لا تجد فقيها يتمكن أن يقول: أنا أعلم بكل علم الفقه، ولكن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يعلم الفقه كله.

إنك لا تجد فيزيائيا يقول: أنا أعلم الفيزياء كلها، ولكن علياً (صلوات الله عليه) كان يعلم الفيزياء كلها.

ولذلك في أية مسألة أو في أية قضية، سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فقهية أو تفسيرية أو حربية، أو غيرها، وفي أي

بعد من الأبعاد، كان الناس يرجعون إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكان عليه السلام يجيب بلا تأمل، بمعنى يجيبهم فوراً.

ينقل أن الثاني - ابن الخطاب - سأل الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): كيف تجيب بلا تأمل؟!

فقال له الإمام: كم هذا؟ وأشار إليه بأصابع يده

فأجابه: خمسة.

فقال له: لماذا لم تتأمل قبل الجواب؟.

فقال: هذا واضح ولا يحتاج إلى تأمل.

فقال له أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): إن جميع المسائل واضحة لدي كوضوح هذا عندك [1].

الاتجاه التجريبي في العلوم

يقول البعض من علماء الغرب: إن كل العلوم الطبيعية الحديثة الآن تعتمد على مبدأ واحد، فإذا لم تكن هذه القاعدة موجودة لدينا، لما وُجدت هذه العلوم، ولكن من الذي اكتشف هذه القاعدة؟ ومن الذي أشار إليها؟ يقولون: فلان، ويذكرون اسمه.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١ ص٣١١.

فالعالم الغربي الفلاني جاء ووضع هذه القاعدة التي كانت تغفل عنها العلوم القديمة فشكلت مفترق الطريق بين العلم القديم والعلم الجديد.

يقولون: إن هذه النهضة الصناعية والعلمية كلها مبتنية على هذه القاعدة التي اكتشفها العالم الفلاني وبنى عليها وهي الاتجاه التجريبي في العلوم.

فالعلم القديم كان يعتمد على معادلات فكرية فقط، ولكن العلم الجديد أخذ يعتمد على معادلات تجريبية، فالعالم الفلاني هو الذي وضع هذه القاعدة، ولو لم يكن هذا الاتجاه، لما كان يمكن غزو الفضاء، ولا كانت هذه المكتشفات الجديدة.

هكذا يقولون، ولكن عند ما تقرأ التاريخ ترى أن أمير المؤمنين والإمام الصادق (صلوات الله عليهما) قد أشارا إلى هذه القاعدة قبل ألف عام، لكن الأمة لم تكن لها قابلية الفهم المطلوب في ذلك العهد.

كان يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشير إلى صدره: «إنَّ هاهنا لعلماً جماً ولكن لو أصبت له حمَلة»[1]، أي لو كان هنالك حملة لما ضاع هذا العلم.

في كلمات تجدونها في (نهج البلاغة) يقول الإمام عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة: من كلام قاله عليه السلام لكميل بن زياد النخعي.

«في التجارب علم مستحدث». إنها أربع كلمات، بمعنى أن التجربة ستعطيك علماً جديداً، أليس هذا هو الاتجاه التجريبي في العلم؟ فماذا يقول الاتجاه التجريبي في العلم؟ إنه يقول الكلام نفسه.

وهكذا الإمام الصادق (صلوات الله عليه) علّم تلميذه جابر بن حيان الاتجاه التجريبي في العلم، ويقول جابر تلميذ الإمام الصادق عليه السلام في كتابه: إن جميع العلوم الطبيعية ــ وليس العلوم الإلهية لأن لها معادلة ثانية ـ تعتمد على العمل والتجربة ومن لم يجرب لا يمكنه أن يعلم...[1]

---

(١) نشرت شبكة النبأ المعلوماتية (www.annabaa.org) مجموعة بحوث ودراسات عن جابر بن حيان تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام) نذكر مقتطفات منها في هذا الهامش:

جابر بن حيان موسوعة علمية خالدة عبر العصور، تلقى علومه من منهل مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ولا تزل علومه واكتشافاته مصدر الكثير من العلوم وخاصة في علم الكيمياء الذي اشتهر به، فهو مفخرة من مفاخر الأمة الإسلامية وفذ من أفذاذها.

ينقل الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه (الخالدون العرب) ص١٦ عن برتيلو: (إن جميع الباحثين العرب نقلوا عن جابر واعتمدوا في أبحاثهم على تأليفه وبحوثه).

ولادته كانت في سنة (١٢٠هـ - ٧٣٧م). وعن نشأته وبدايته مع العلم ◄

►يقول الدينوري في (الأخبار الطوال): إن جابراً كان تلميذاً للإمام الصادق عليه السلام حيث وجد فيه سنداً ومعيناً وموجهاً لا يستغنى عنه، إذن كان الإمام الصادق عليه السلام أول معلم له وملهمه علومه وقد استطاع بفضله تحرير الكيمياء من خلال الاستعانة بإرشاداته فأصبح كيميائي العرب الأول وأول من اشتهر علم الكيمياء عنه وأول من يستحق لقب كيميائي من المسلمين عن جدارة وهذه الألقاب كلها جاءت من العلماء الذين درسوا كتب جابر.

وحينما يترجم الفيلسوف الانكَليزي الشهير برتراندرسل بعض كتب جابر إلى الانكليزية في لندن عام (١٦٧٨) يقول عن جابر: (إنه أشهر علماء العرب وفلاسفتهم).

وكان محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف المشهور يستعين دائماً بآراء جابر حيث قال في أكثر من مكان في كتبه: قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان مستشهداً به، وقال إسماعيل مظهر في كتابه (تاريخ الفكر العربي): لعل جابر بن حيان أشهر من أن يذكره تاريخ العلم في العصر العربي وقد أنزلته آثاره الجليلة مكاناً مرموقاً بين العلماء حتى اعترفوا بفضله فاسمه اقترن من حيث الشهرة ومن حيث الأثر النافع بأسماء العظماء من روّاد الحضارة والعمران.

وقال عنه برتيلو: لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق، وعده سارطون من أعظم الذين برزوا في ميدان العلم كما نقل السيد الأمين في أعيان الشيعة والأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه الخالدون العرب أقوالاً أخرى للعلماء بحق جابر ومكانته العلمية الكبيرة.

ألّف جابر في شتى العلوم وفي جميع الصناعات وكل أنواع المعرفة والثقافة فألّف في الطب والكيمياء والرياضيات والزهد والوعظ وغيرها حتى بلغت مؤلفاته (٣٩٠٠) مؤلف ما بين كتاب ورسالة، وله في الطب وحده (٥٠٠) كتاب وفي الكيمياء له كتب كثيرة مهمة ترجمت إلى لغات أجنبية متعددة ◄

◄ولا يزال منها مخطوطاً في مكتبات الشرق والغرب... وقد توزعت هذه الكتب في المكتبة الأهلية بباريس ودار الكتب بالقاهرة والمتحف البريطاني وجامعة اكسفورد وكيمبرج ونقل بعضها في الهند بالزنكغراف.

وعن طموح جابر في العلم يقول المؤرخون: كان جابر طموحاً للوصول إلى أبعد مدى من التجربة والعمل المستمر إلى تكوين النظرية العلمية لا الاعتماد على التأمل المجرد، فقط لذا عمل بجهد إلى أن خطا خطوة مهمة في دراسته لتخطي طريقة اليونان في وضع التجربة أساساً للعمل وكان طموحه وضع الاختبار العنصر العامل في تكوين النظرية للوصول إلى أسس ملموسة تقنع الآخرين وتسهل لهم معرفتها.

والباحث والدارس عن هذا الرجل الفذ في كتب التاريخ والسير والأعلام يخرج بحقيقة لا غبار عليها وهي أنه إمام العلوم الطبيعية عند العرب بلا منازع ... تلك حقيقة لا جدال فيها أوضحتها كتبه وآراؤه التي استقاها من سيده جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وتجد تأثره بهذه الشخصية العظيمة واضحاً في كل كتبه، فهو يشعر بفضل سيده عليه وأنه لولاه لما استطاع أن يكتب حرفاً واحداً مما كتبه.

فتجد هذه الكلمات تتصدر كتبه ورسائله: (قال لي سيدي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ... وألقى عليّ سيدي جعفر بن محمد عليه السلام... وأخذت هذا العلم من جعفر بن محمد عليه السلام سيد أهل زمانه).

ويصرّح أيضاً في أكثر من موضع بأن مصدر علمه هو النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والذي تناقل عنهما حتى وصل إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فيقول في المقالة الحادية والعشرين من كتاب (الخواص الكبير) ص (٣١٥): (تأخذ من كتبي علم النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وسيدي ـ أي جعفر الصادق عليه السلام ـ وما بينهم من الأولاد منقولاً نقلاً مما كان وهو كائن ◄

►وما يكون من بعد إلى أن تقوم الساعة).

ويقول في المقالة الرابعة والعشرين من نفس الكتاب ص (٣١٧): (فو الله مالي في هذه الكتب إلا تأليفها والباقي علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

ويؤكد جابر من خلال أقواله التي تتخلل كتبه أن هذا العلم تلقيني لقّنه أياه سيده جعفر الصادق عليه السلام وليس باستطاعة أي إنسان آخر أن يلقنه مثله، يقول جابر في أكثر رسائله العلمية: (إنها مستحيلة على غيره من البشر)، وأنه لولا أن الإمام الصادق عليه السلام لقنّه إياه أو علّمه لما استطاع جابر أن يكتب حرفاً واحداً مما كتب.

فيقول في كتاب الأحجار ج٢ ص١٦٤: (وحق سيدي لولا أن هذه الكتب باسم سيدي ـ صلوات الله عليه ـ لما وصلت إلى حرف من ذلك آخر الأبد لا أنت ولا غيرك إلا فيك لبرهةٍ عظيمة من الزمان).

ويقصد من ذلك وجود واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين يتناقلون علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول أيضاً: (ليس على وجه الأرض كتاب مثل كتابنا هذا ولا ألّف ولا يؤلف آخر للأبد).

وتجد الكثير من أمثال هذه الأقوال في رسائله والتي تشير إلى أن مصدر علمه هو الإمام الصادق عليه السلام والذي بدوره تلقى العلوم عن آبائه الطاهرين عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدينة العلم وعن وصيه أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة العلم والذي يقول: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم فتح لي من كل باب ألف باب». هذا هو منهج جابر الأخلاقي في الاعتراف بفضل سيده جعفر بن محمد عليه السلام. كان جابر بن حيان أول من أسس مدرسة الكيمياء في الإسلام اعتمدت عليها الدول الأوربية في نهضتها العلمية فترجمت كتبه ورسائله إلى اللغة اللاتينية عام ١٦٦٢م.

وأخذت عنه ابتكاراته واكتشافاته وتعلمت منها الكثير خاصة كتابه ◄

► (الاستتمام) لأهميته البالغة، فلم تكن تعرف جامعاتها مراجع تدرس في علم الكيمياء حتى القرن الخامس عشر سوى كتب جابر بن حيان.

وهذه الحقيقة أكدها الأستاذ زكي نجيب محمود في كتابه (جابر بن حيان ص١٨)، عند ما ينقل هذه الرواية عن جابر فيقول: (وفي مقدمة كتاب الحاصل لجابر يقول ـ أي جابر ـ: وقد سميّته كتاب الحاصل وذلك أن سيدي جعفر بن محمد (صلوت الله عليه) قال لي: فما الحاصل إلا أن بعد هذه الكتب ـ أي الكتب التي ألّفها جابر ـ وما المنفعة منها؟ فعملت كتابي هذا وسماه سيدي ـ صلوات الله عليه ـ بكتاب الحاصل...)، ثم يقول زكي نجيب محمود بعد ذكره هذه الرواية: (وواضح أن هذا التوقير كله لا يكون موجهاً إلى برمكي... وإنما يوجه مثل هذا التوقير من شيعي إلى إمامه).

ويقول في نفس الكتاب ص١٧: (القول الراجح الصدق أنه إنما عنى به جعفر الصادق ونقول إنه مرجّح الصدق لأن جابراً شيعي فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لإمام شيعي، هذا إلى وفرة المصادر التي لا تتردد في أن جعفراً المشار إليه في حياة جابر ونشأته هو جعفر الصادق).

ويقول الأستاذ رؤوف سبهاني في كتابه (مشاهير فلاسفة المسلمين) ص٣١٢: (إن جابر بن حيان هو بلا شك أحد أهم فلاسفة الشيعة حيث سيطرت على كتبه ورسائله روح التشيّع كما وبرزت فيها الروح الجعفرية بأوسع حدودها).

أمّا ما يتعلّق بمسألة العلوم الكيميائية وعلاقته بهذا الفرع من العلوم الطبيعية، فيكفي أن نذكر أنّ المستشرق (هوليارد) قد قام بدراسات مُعمَّقة عن سيرة الإمام الصادق عليه السلام من جهة، وعن سيرة العالِم الطرسوسي جابر بن حيّان من جهة أخرى، فخرج بنتيجة حاسمة ومنطقية وخلاصة تلك النتيجة أن العالِم جابر بن حيّان قد تلقّى علومه الكيميائية عن الإمام، وهذا ما أكّده أيضاً الباحث (آ.إس.رابوبرت) في بحوثه عن الفلسفة والعلوم عند المسلمين، ◄

إن الإمام (صلوات الله عليه) كان محيطاً بجميع العلوم، وكان يعرف جميع المسائل في مختلف العلوم من الفيزياء والطب والفقه وغيرها، فما كان يُسأل عن شيء إلا وكان يجيب عليه فوراً.

كان هذا جانباً من علمه صلوات الله و سلامه عليه.[1]

◄حيث رأى أن مبادئ الكيمياء قد تمّ تحصيلها من قِبَل جابر بن حيّان بعد أن نهلها من تعاليم إمامه جعفر الصادق بن محمد الباقر عليه السلام، أمّا الباحث (دونالدهيل) فقد نَوَّه في كتابه (العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية) إلى أنه عليه السلام كان يلقي بعلومه ومعارفه إلى تلميذه جابر بن حيّان الطرسوسي ضمن حلقاته الدراسية المعهودة.

انّ العلماء والمفكرين الغربيين استطاعوا أن يسبقوا العديد من المفكرين العرب في تحليل وتفكيك رموز الملاحظات العلمية التي نطق بها الإمام عليه السلام في زمن لم يكن ليسمح له أن يصرّح بها تصريحاً أمام أُناسٍ لم تكن عقولهم مهيّأة بعدُ لتقبُّل وتفهُّم تلك الحقائق العلمية الثابتة.

وعلى سبيل المثال، فقد استطاع العديد من العلماء والمفكرين الأوروبيين أن يُثبتوا من خلال دراساتهم وتحليلاتهم أن له نظرية علمية مهمة أخرى، هي نظرية (انقباض العالَم وامتداده) فهو يقول إن العوالم الموجودة لا تبقى على حال دائم من الأحوال، فهي تتّسع تارة وتنقبض أخرى... وصفوة القول إنّ عِلمي الفيزياء والفلك المعاصرين يؤكّدان نظرية الإمام الصادق عليه السلام المتعلقة بانقباض العوالم واتسّاعها (تمدّدها).

(١) وذكر العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: ج٤٠ ص ١٢٧ في باب علمه◄

► (عليه السلام) وأن النبي (صلى الله عليه وآله) علمه ألف باب، روايات وأحاديث وأقوال حول علوم أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنه مؤسس العلوم، ننقل هنا مقتطفات في هذا الهامش:

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسر إلي ألف حديث، في كل حديث ألف باب، لكل باب ألف مفتاح».

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: سمعت بعض أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ممن يثق به قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: «إن في صدري هذا لعلماً جماً علمنيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولو أجد له حفظة يرعونه حق رعايته ويروونه عني كما يسمعونه مني إذاً لأودعتهم بعضه، فعلم به كثيرا من العلم، إن العلم مفتاح كل باب وكل باب يفتح ألف باب».

وعن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علمني ألف باب من الحلال و الحرام ومما كان ومما يكون إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب».

وعن عباية بن ربعي قال: كان علي أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيراً ما يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله ما من أرض مخصبة ولا مجدبة ولا مجدبة ولا فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا وأنا أعلم قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة».

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان في ذؤابة سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) صحيفة صغيرة». فقلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أي شيء كان في تلك الصحيفة؟ قال: «هي الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف»، قال أبو بصير، قال أبو عبد الله (عليه السلام): «فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة».

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام): «أن النبي (صلى الله عليه وآله) حدث علياً عليه السلام ألف كلمة، كل كلمة تفتح ألف كلمة، فما يدري الناس ما حدثه».

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال علي (عليه السلام): «والله لا يسألني أهل التوراة ولا أهل الإنجيل ولا أهل الزبور ولا أهل الفرقان إلا فرقت بين أهل كل كتاب بحكم ما في كتابهم».

وعن أبي بصير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى فرض العلم عن ستة أجزاء، فأعطى علياً منه خمسة أجزاء، وله سهم في الجزء الآخر مع الناس».

❖ ومما يذكر في هذا الباب أنه لا شيء من العلوم إلا وأهله يجعلون علياً عليه السلام قدوة:

ففي تفسير النقاش قال ابن عباس: جل ما تعلمت من التفسير من علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقال ابن مسعود: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب (عليه السلام) علم الظاهر والباطن.

وفي فضائل العكبري، قال الشعبي: «ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبي الله من علي ابن أبي طالب عليه السلام.

وفي تاريخ البلاذري وحلية الأولياء: قال علي (عليه السلام): «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، أبليل نزلت أم بنهار نزلت، في سهل أو جبل، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً».

وفي قوت القلوب: قال علي (عليه السلام): «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير فاتحة الكتاب، ولما وجد المفسرون قوله لا يأخذون إلا به».

وكذلك الفقهاء، فكان علي عليه السلام أفقههم، فإنه ما ظهر عن جميع الفقهاء مثل

ما ظهر منه، ثم إن جميع فقهاء الأمصار إليه يرجعون، ومن بحره يغترفون، أما أهل الكوفة ففقهاؤهم سفيان الثوري والحسن بن صالح بن حي وشريك بن عبد الله وابن أبي ليلى، وهؤلاء يفرعون المسائل ويقولون هذا قياس قول علي عليه السلام، ويترجمون الأبواب بذلك، وأما أهل البصرة ففقهاؤهم الحسن وابن سيرين، وكلاهما كانا يأخذان عمن أخذ عن علي، وابن سيرين يفصح بأنه أخذ عن الكوفيين وعن عبيدة السلماني و هو أخص الناس بعلي، وأما أهل مكة فإنهم أخذوا عن ابن عباس وعن علي (عليه السلام). وقد أخذ عبد الله معظم علمه عنه، وأما أهل المدينة فعنه أخذوا، وقد صنف الشافعي كتابا مفردا في الدلالة على إتباع أهل المدينة لعلي (عليه السلام) وعبد الله، وقال محمد بن الحسن الفقيه: لو لا علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما علمنا حكم أهل البغي، ولمحمد بن الحسن كتاب يشتمل على ثلاثمائة مسألة في قتال أهل البغي بناء على فعله.

❖ ومنهم الفرضيون وهو أشهرهم فيها، فضائل أحمد، قال عبد الله: إن أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقال الشعبي: ما رأيت أفرض من علي و لا أحسب منه، وقد سئل عنه وهو على المنبر يخطب عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وابنتين كم نصيب المرأة؟ فقال: صار ثمنها تسعا، فلقبت بالمسألة المنبرية، شرح ذلك: للابوين السدسان، وللبنتين الثلثان، وللمرأة الثمن، عالت الفريضة فكان لها ثلاث من أربعة وعشرين ثمنها، فلما صارت إلى سبعة وعشرين صار ثمنها تسعا، فإن ثلاثة من سبعة وعشرين تسعها، ويبقى أربعة وعشرون، للابنتين ستة عشر، وثمانية للابوين سواء، قال هذا على الاستفهام، أو على قولهم صار ثمنها ومنه المسألة الدينارية وصورتها.

❖ ومنهم أصحاب الروايات، نيف وعشرون رجلا، منهم ابن عباس وابن مسعود

وجابر الأنصاري وأبو أيوب وأبو هريرة وأنس وأبو سعيد الخدري وأبو رافع وغيرهم وهو (عليه السلام) أكثرهم رواية وأتقنهم حجة، ومأمون الباطن، لقوله صلى الله عليه وآله: (علي مع الحق).

وفي الترمذي والبلاذري، قيل لعلي (عليه السلام): ما بالك أكثر أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) حديثا؟ قال: «كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكتُ عنه ابتدأني». وفي كتاب ابن مردويه إنه قال: «كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت».

❖ ومنهم المتكلمون وهو عليه السلام الأصل في الكلام، قال النبي (صلى الله عليه وآله): «علي رباني هذه الأمة».

وفي الاخبار أن أول من سن دعوة المبتدعة بالمجادة إلى الحق علي (عليه السلام) وقد ناظره الملحدة في مناقضات القرآن، وأجاب مشكلات مسائل الجاثليق حتى أسلم.

وقال أبوبكر بن مردويه في كتابه عن سفيان أنه قال: ما حاج علي أحداً إلا حجه.

وقوله (عليه السلام): «أول معرفة الله توحيده، وأصل توحيده نفي الصفات عنه» إلى آخر الخبر.

وما أظنب المتكلمون في الأصول إنما هو زيادة لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول، فالإمامية يرجعون إلى الصادق (عليه السلام) وهو إلى آبائه عليهم السلام.

والمعتزلة والزيدية يرويه لهم القاضي عبدالجبار بن أحمد، عن أبي عبد الله الحسين البصري وأبي إسحاق عباس، عن أبي هاشم الجبائي، عن أبيه أبي علي، عن أبي يعقوب الشحام، عن أبي الهذيل العلاف، عن أبي عثمان الطويل، عن واصل بن عطاء، عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي، عن أبيه محمد بن الحنفية، عنه عليه السلام.

ومنهم النحاة، وهو واضع النحو، لأنهم يروونه عن الخليل بن أحمد بن عيسى بن عمرو الثقفي، عن عبدالله بن إسحاق الحضرمي، عن أبي عمرو بن العلاء، عن ميمون الأقرن، عن عنبسة الفيل، عن أبي الأسود الدئلي عنه (عليه السلام).

وروي أن أعرابيا سمع من سوقي يقرأ: (أن الله برئ من المشركين و رسوله) فشج رأسه، فخاصمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له في ذلك، فقال إنه كفر بالله في قراءته، فقال عليه السلام: إنه لم يتعمد بذلك.

فعلى أي وجه كان دفعه إلى أبي الأسود، وقال: ما أحسن هذا النحو أجش له بالمسائل، فسمي نحوا.

قال الرضي رحمه الله: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) شرح الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها.

وروى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه (عليهم السلام) أنه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولا في الكلام فارتجل (عليه السلام) الخطبة المونقة التي أولها (حمدت من عظمت منته، وسبغت نعمته وسبقت رحمته، وتمت كلمته، ونفذت مشيته، بلغت قضية) إلى آخرها، ثم ارتجل إلى خطبة أخرى من غير النقط التي أولها (الحمد لله أهل الحمد ومأواه وله أوكد الحمد وأحلاه، وأسرع الحمد وأسراه، وأطهر الحمد وأسماه، وأكرم الحمد وأولاه).

ومنهم الشعراء وهو أشعرهم، الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وفي كتاب فضائل بني هاشم أيضا، والبلاذري في أنساب الاشراف: أن علياً عليه السلام أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم.

ومنهم العروضيون، ومن داره خرجت العروض، روي أن الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب محمد بن علي الباقر أو علي بن

الحسين (عليهما السلام) فوضع لذلك أصولا.

❖ ومنهم أصحاب العربية، وهو أحكمهم، قال ابن الحريري البصري في درة الغواص وابن فياض في شرح الاخبار: إن الصحابة قد اختلفوا في (الموؤدة) فقال لهم علي (عليه السلام): إنها لا تكون موؤدة حتى يأتي عليها التارات السبع، فقال له عمر: صدقت أطال الله بقاك، أراد بذلك المبينة في قوله: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة) الآية، فأشار أنه إذا استهل بعد الولادة ثم دفن فقد وئد.

❖ ومنهم الوعاظ، وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر ما له نحو قوله: «من زرع العدوان حصد الخسران، من ذكر المنية نسي الأمنية، من قعد به العقل قام به الجهل، يا أهل الغرور ما ألهجكم بدار خيرها زهيد، وشرها عتيد، ونعيمها مسلوب، وعزيزها منكوب، ومسالمها محروب، ومالكها مملوك، وتراثها متروك». وصنف عبدالواحد الآمدي غرر الحكم من كلامه عليه السلام.

❖ ومنهم الحكماء وهو أرجحهم... قال أبوعلي سينا: لم يكن شجاعا فيلسوفا قط إلا علي (عليه السلام). وقال الشريف الرضي: من سمع كلامه لا يشك أنه كلام من قبع في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه، فيقط الرقاب ويجدل الأبطال ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجا، وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه التي جمع بها بين الاضداد.

❖ ومنهم المهندسون وهو أعلمهم، قال حفص بن غالب مرفوعا: بينا رجلان جالسان في زمن عمر إذ مر بهما عبد مقيد، فقال أحدهما: إن لم يكن في قيده كذا وكذا فامرأته طالق ثلاثا، وحلف الآخر بخلاف مقاله، فسئل مولى العبد

أن يحل قيد حتى يعرف وزنه، فأبى فارتفعا إلى عمر فقال لهما: اعتزلا نساءكما، وبعث إلى علي (عليه السلام) وسأله عن ذلك، فدعا بإجانة فأمر الغلام أن يجعل رجله فيها ثم أمر أن يصب الماء حتى غمر القيد والرجل ثم علم في الإجانة علامة وأمره أن يرفع قيده عن ساقه، فنزل الماء عن العلامة، فدعا بالحديد فوضعه في الاجانة حتى تراجع الماء إلى موضعه، ثم أمر أن يوزن الماء، فوزن فكان وزنه بمثل وزن القيد، وأخرج القيد فوزن فكان مثل ذلك، فعجب عمر.

❖ ومنهم المنجمون وهو أكيسهم، وهناك حديث طويل في هذا الباب يراجع به كتاب بحار الأنوار.

❖ ❖ ومنهم أصحاب الكيمياء. وهو أكثرهم حظا، سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الصنعة، فقال: هي أخت النبوة وعصمة المروة، والناس يتكلمون فيها بالظاهر وإني لأعلم ظاهرها وباطنها، هي والله ما هي إلا ماء جامد، وهواء راكد، ونار جائلة وأرض سائلة. وسئل (عليه السلام) في أثناء خطبته: هل الكيمياء تكون؟ فقال: الكيمياء كان وهو كائن وسيكون، فقيل: من أي شيء هو؟ فقال: إنه من الزيبق الرجراج، والأسرب والزاج، والحديد المزعفر، وزنجار النحاس الأخضر الحبور إلا توقف على عابرهن، فقيل: فهمنا لا يبلغ إلى ذلك، فقال: اجعلوا البعض أرضا، واجعلوا البعض ماء، وأفلجوا الأرض بالماء وقد تم، فقيل: زدنا يا أمير المؤمنين، فقال: لا زيادة عليه فإن الحكماء القدماء ما زادوا عليه كيما يتلاعب به الناس.

❖ ومنهم الأطباء وهو أكثرهم فطنة، قال أبو عبدالله (عليه السلام): كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: يعيش الولد لستة أشهر ولسبعة ولتسعة، ولا يعيش لثمانية أشهر. وعنه عليه السلام لبن الجارية وبولها يخرج من مثانة أمها، ولبن الغلام يخرج من العضدين والمنكبين. وعنه (عليه السلام) يشب الصبي كل سنة أربع

أصابع بأصابع نفسه. وسأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن الولد ما باله تارة يشبه أباه وتارة يشبه خاله وعمه؟ وقال للحسن عليه السلام أجبه، فقال عليه السلام: أما الولد فإن الرجل إذا أتى أهله بنفس ساكنة وجوارح غير مضطربة اعتلجت النطفتان كاعتلاج المتنازعين فإن علت نطفة الرجل نطفة المرأة جاء الولد يشبه أباه، وإن علت نطفة المرأة نطفة الرجل أشبه أمه، وإذا أتاها بنفس مزعجة وجوارح مضطربة غير ساكنة اضطربت النطفتان فسقطتا عن يمنة الرحم ويسرته فإن سقطت عن يمنة الرحم سقط على عروق الأعمام والعمات فيشبه أعمامه وعماته، وإن سقطت عن يسرة الرحم سقطت على عروق الأخوال والخالات فشبه أخواله وخالاته، فقام الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وروي أنه كان الخضر عليه السلام.

❖ ومن وفور علمه عليه السلام أنه عبر منطق الطير والوحوش والداب، قال زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: علمنا منطق الطير كما علمه سليمان بن داود، كل دابة في بر أو بحر، ففي الفائق عن الزمخشري أنه سئل شريح عن امرأة طلقت، فذكرت أنها حاضت ثلاث حيض في شهر واحد، فقال شريح: إن شهدت ثلاث نسوة من بطانة أهلها أنها كانت تحيض قبل أن طلقت في كل شهر فالقول قولها، فقال علي عليه السلام: (قالون) أي أصبت بالرومية، وهذا إذا اتهمت المرأة.

وعن عمار بن ياسر قال: كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في بعض غزواته، فمررنا بواد مملوء نملا، فقلت: يا أمير المؤمنين ترى يكون أحد من خلق الله تعالى يعلم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمار، أنا أعرف رجلا يعلم عدده وكم فيه ذكر وكم فيه أنثى؟ فقلت: من ذلك الرجل يا مولاي؟ فقال: يا عمار ما قرأت في سورة يس: (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين)؟ فقلت: بلى يا مولاي، فقال: أنا ذلك الإمام المبين.

ونذكر هنا بعض ما نقله الشريف الرضي في نهج البلاغة من كلامه (عليه السلام) في وصف الكون والسماء والأرض والحيوان:

❖ ومن خطبة له (عليه السلام) وهي الخطبة رقم ٩١ في نهج البلاغة، تعرف بخطبة الأشباح وهي من جلائل خطبه (عليه السلام) يذكر فيها صفة السماء:

«وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقِ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، وَلَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا، وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا، وَفَتَقَ بَعْدَ الِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا».

❖ ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء:

«كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً، وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ» إلى آخر الخطبة.

❖ ومن خطبة له (عليه السلام) رقم ١٨٥ في نهج البلاغة، يحمد اللّه فيها ويثني على رسوله ﷺ ويصف خلقا من الحيوان:

«وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ، أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى

صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ، انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ ... إلى آخر الخطبة.

❖ ومن خطبة له (عليه السلام) رقم ١٥٥ في نهج البلاغة يذكر فيها بديع خلقة الخفاش:

«وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ائْتِلَاقِهَا فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا» إلى آخر الخطبة.

❖ ومن خطبة له (عليه السلام) رقم ١٦٥ في نهج البلاغة يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس:

«وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ وَسَمَا بِهِ مُطِلًّا عَلَى رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ» إلى آخر الخطبة.

❖ ومن خطبة له (عليه السلام) رقم ٢١١ في نهج البلاغة في عجيب صنعة ◄

قضاء حوائج الناس

ونشير إلى جانب آخر، وهو جانب اجتماعي في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، وما أحوجنا اليوم إلى هذا الجانب.

في أحد الأيام جاء الإمام (صلوات الله عليه) إلى البيت في شدة الحر، فرأى امرأة واقفة عند الباب، وعلى الرغم من أنه عليه السلام كان يرجع في الظهر إلى البيت منهكا، لكنه جاء إلى هذه المرأة وقال لها: ماذا بك يا أمة الله؟.

◄الكون:

وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ، وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا فَمَضَتْ رُءُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ، فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى».

فقالت: إن زوجي طردني من البيت وهددني بالضرب وأنا لا أدري ماذا أفعل؟.

فقال الإمام (صلوات الله عليه): اصبري حتى يبرد الجو قليلاً ثم آتي معك إلى زوجك؟

فقالت المرأة: يا أمير المؤمنين إذا تأخرت سوف يشتد غضبه عليَّ.

فطأطأ الإمام عليه السلام برأسه وقال: لا والله حتى يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع.

فذهب معها إلى بيتها وطرق الباب، فرأى صاحب البيت رجلاً لا يعرفه، لأن الإمام (صلوات الله عليه) كان كأحد الناس، فلم يكن يعرفه العديد من أهل الكوفة، ولم تكن عنده مظاهر السلطنة مثل بقية الحكام ولا كان عنده شيء يميزه.

فقال الإمام عليه السلام له: إنك أخفت هذه المرأة وأرعبتها فاتق الله يا هذا..

ـ فهل من التقوى أن يطرد الزوج زوجته من البيت في منتصف الظهر ويرعبها؟ وهل من التقوى أن يعامل الزوج زوجته بخشونة؟.ـ

فغضب الرجل وقال له: يا هذا وما أنت، والله لأحرقنها

لكلامك!

فجرد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سيفه تهديداً وقال له: يا هذا آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر.

فمرَّ الناس ورأوا أمير المؤمنين عليه السلام مجرداً سيفه، فتقدموا وسلموا وقالوا: (السلام عليك يا أمير المؤمنين...).

فأسقط في يد الرجل وعرف أنه أمير المؤمنين، فاعتذر للإمام (صلوات الله عليه) وقال: يا أمير المؤمنين والله لأكون لها أرضاً تدوسني برجلها.

فهذا الرجل الذي قال عن زوجته قبل قليل، لأحرقنها لكلامك، يقول الآن: لأكون لها أرضا تدوسني برجلها!

واعتذر إلى الإمام، ثم التفت الإمام عليه السلام إلى المرأة وقال لها: أُدخلي بيتك يا أمة الله ولا تحوجي زوجك إلى مثل هذا[1].

لقد نصح الإمام عليه السلام الطرفين، نصح الرجل وقال له: يا هذا اتق الله. ونصح المرأة وقال لها: يا أمة الله أدخلي بيتك ولا تحوجي زوجك إلى مثل هذا.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص٣٧٤.

إذا كان لدينا روحية كهذه، بمعنى روحية الإصلاح والتقريب والتوفيق، فسوف نقلل من المشاكل كثيراً، ولا ينبغي أن يقول كل واحد منّا: هذا الأمر لا يخصني، أو هذه القضية لا تعنيني.

لو كان في أمتنا اليوم هكذا مصلحون لما بقي مجتمعنا في هذه الحالة مليئاً بالمشاكل بين زوج وزوجة، وبين صديق وصديق، وبين فئة وفئة، وبين جماعة وجماعة، إن عالمنا وأمتنا اليوم مليئة بالمشاكل، فلو كان هنالك مصلحون وأفراد يطبقون قول الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[1] فهل ستبقى هذه المشاكل؟.

لكن حينما يتورط اليوم شخص في مشكلة، نجد الجميع يتفرجون عليه، ولا يتدخل أي فرد منهم للإصلاح.

البعض يتصور أن أعمال الإصلاح والخير فيها خفّة... ويفكر بمنطق الحفاظ على شخصيته الموهومة، وهذا غير صحيح، إذ نتيجة هذا الفكر أنه لا يكون هنالك أي عمل خير في المجتمع.

---

(١) سورة الحجرات: ٩.

بائع التمر يلكز الإمام عليه السلام

ويُنقل في قضية ثانية، أن الإمام (صلوات الله عليه) رأى جارية تبكي فقال لها: لِمَ تبكين يا أمة الله؟

فقالت: لقد اشتريت تمراً بدرهم وعُدت إلى البيت فلم يقبلوا التمر مني لأنه لم يعجبهم، فرجعت إلى بائع التمر ولكنه لم يقبل بإرجاعه مني أيضا، ولا أعرف ماذا أفعل الآن، لا أهل البيت يقبلون التمر، ولا بائع التمر يقبل أن يسترجعه!

فجاء معها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ..

نعم جاء أمير المؤمنين عليه السلام مع جارية عادية، وكان الإمام آنذاك هو الحاكم الأعلى، فقال للتمار: إن هذه أمة لا تملك من أمرها شيئا، أردد عليها.

وكان التمار شابا متهوراً في عنفوان الشباب، فلكز أمير المؤمنين عليه السلام، بمعنى جمع قبضة كفه وضربه بقوة في صدره، فلم يقل الإمام له شيئا.

وحين مر بعض الناس ورأوا الإمام عليه السلام تقدموا وألقوا التحية على الإمام وقالوا: (السلام عليك يا أمير المؤمنين)!، فأسقط الرجل بائع التمر في يده، وكُتب عنه أنه اصفر الوجه

وضاق عليه نفسه، وفكر أن الإمام سوف يعاقبه فيأخذه مثلاً إلى الإعدام، فوقع على يدي الإمام وأخذ يعتذر منه وقال: ارض عني يا أمير المؤمنين.

فأجابه الإمام: ما أرضاني عنك إن أنت أصلحت أمرك.

وفي رواية ثانية: إن أنت أرضيت الناس عن نفسك[1]، أي إنك لا تحتاج إلى اعتذار، بل أرضِ الناس عن نفسك وأصلحها من أمرك، فإن هذا ما يرضيني عنك.

ينبغي علينا جميعاً وفي هذه المناسبة السعيدة أن نتعلم من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ومن منهاجه المنير، وصلى الله على محمد و آله الطيبين الطاهرين .

(١) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٣٧٩.

نبذة عن حياة الفقيه المقدس رحمه الله

❖ هو الفقيه المقدس آية الله السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته) وُلد في كربلاء المقدسة سنة ١٣٧٩هجرية، وهو النجل الأكبر للمرجع الديني الراحل الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته).

❖ نشأ وترعرع بجوار الإمام الحسين عليه السلام فتعلم منه درس الولاء والتضحية والفداء في سبيل الله عزوجل.

❖ بدأ دراسته الأولية في مدرسة حفّاظ القرآن الكريم ثم التحق بالحوزة العلمية في كربلاء المقدسة حيث درس مقدمات العلوم الدينية لدى أساتذتها الكبار. وهاجر بصحبة والده إلى الكويت وذلك بعد الضغوط الكبيرة التي لاقتها أسرة الإمام الشيرازي من قبل الطغاة البعثيين في العراق.

❖ كان رحمه الله من أساطين الأساتذة في حوزة قم المقدسة حيث بدأ بتدريس المقدمات والسطوح العالية، ومن عام ١٤٠٨ هـ شرع بتدريس بحث خارج الفقه والأصول على فضلاء الحوزة وكان مستمراً في تدريسه وعطائه العلمي حتى وافته المنية.

❖ كان ﵀ قمةً في الأخلاق والتواضع، والبسمة على وجهه، وحزنه في قلبه، كما ورد في صفات المؤمنين.

❖ تربى في مدرسته العلمية عدد كبير من التلامذة الفضلاء وهم اليوم من المدرسين في الحوزات العلمية في مختلف أرجاء العالم.

❖ ترك ﵀ محاضرات علمية وأخلاقية عديدة تبث عبر عدد من القنوات الفضائية الدينية، كان لها الأثر الكبير في تحقيق الاستقرار والإصلاح والتسامح في كثير من الأسر والمجتمعات.

❖ كما ترك ﵀ كتباً علمية قيمة نال عنها عدة إجازات في الإجتهاد.

❖ توفي شهيداً ﵀ صبيحة يوم الأحد ٢٦ جمادى الأولى من سنة ١٤٢٩ هجرية الموافق ٢٠٠٨/٦/١م في قم المقدسة في ظروف غامضة.

تعريف بمؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية

❖ تهتم المؤسسة بدراسة ونشر الفكر الإسلامي المعاصر من خلال القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسيرة أهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، وعبر نشر أفكار ورؤى الفقيه المقدس آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (أعلى الله درجاته).

❖ تهدف المؤسسة إلى:

✿ دراسة العقائد الإسلامية وفق منهج أهل البيت (عليهم السلام) والعمل على حلّ الإشكالات والشبهات التي تبث من قبل الأعداء، وفق منهجية علمية وموضوعية.

✿ استشراف أفكار ورؤى الله الفقيه الشيرازي (أعلى الله درجاته) من خلال ما تركه للبشرية من ثروة معرفية وعلمية كبيرة، متمثلة في آرائه ونظرياته وطروحاته الفكرية والعلمية التي تناولت الكثير من مفاصل الحياة وخصوصاً في الجوانب العقائدية والاجتماعية والأخلاقية.

✿ تحرير وتحقيق وإعداد المحاضرات التي ألقاها الفقيه المقدس (أعلى الله درجاته).

✿ إعداد دراسات وبحوث في مجال الفكر الإسلامي عامة، ضمن أفكار ورؤى الفقيه الشيرازي قدس سره.

❖ عنوان المؤسسة على الانترنت:

http://mr-alshirazi.com

الفهرس

المقدمة ٥

❖ ١ : ظاهرة التفوق المطلق في الإمام علي عليه السلام ٩

تفوق الإمام عليه السلام في جميع الجهات ١٣

تفوق الإمام عليه السلام علمياً ١٧

من اكتشف مفهوم الطبقية؟ ٢٤

❖ ٢ : الإمام علي عليه السلام .. مجمع أبعاد الشخصية الإنسانية. ٢٧

صفات أمير المؤمنين عليه السلام ٣١

أولاً: التواضع ٣١

ثانياً: الزهد في حطام هذه الدنيا ٣٩

بيت الإمام علي عليه السلام ٤٢

❖ ٣: جوانب من شخصية أمير المؤمنين عليه السلام ٤٥

التفضيل المادي ٤٦

التفضيل المعنوي ٤٦

علم أمير المؤمنين عليه السلام ٤٩

قضاء حوائج الناس ٧٠

بائع التمر يلكز الإمام عليه السلام ٧٤

نبذة عن حياة الفقيه المقدس رحمه الله ٧٦

الفهرس ٧٩